Journal Of the Iraqia University (75-1) December (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

الجـدل والحجـاج مقاربة في التشابه والاختلاف

م.م وسن حسن هادي

جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

Dialectic and Argumentation: A Study in Similarities and Differences

MSc. WASAN HASAN HADI
wasanhasan536@gmail.com

الملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة المفاهيم المركزية لكل من **الحجاج (Argumentation)** و**الجدل (Dialectic)** . وقد قسم البحث إلى فصلين رئيسين؛ تناول **الفصل الأول** الجوانب الدلالية للمصطلحين في اللغة والاصطلاح، مع التركيز على تجلياتهما في النص القرآني الذي قدم نموذجاً فريداً لإدارة الحوار والمناظرة. كما استعرض هذا الفصل رؤية الفلاسفة والمناطقة القدماء لكيفية بناء الدليل العقلي والإلزامي.حسب المفهومين المذكورين

أما **الفصل الثاني**، فقد ركز على التحليل المقارن بين الحجاج والجدل، مستعرضاً أوجه الشبه والاختلاف بينهما من حيث الغايات والآليات. وتوصل البحث إلى أن الحجاج مفهوم أوسع يهدف إلى الإقناع واستمالة المخاطب بمختلف الوسائل، بينما يمثل الجدل الإطار التفاعلي القائم على التدافع بين رأيين للوصول إلى الحقيقة. وتخلص الدراسة إلى أن الجدل والحجاج في الفكر الإسلامي القديم لم يكونا مجرد ترف فكري، بل أدوات معرفية لترسيخ اليقين العقلي. الكلمات المفتاحية العربية: الحجاج، الجدل، القرآن الكريم، الإقناع، المناظرة.

Abstract

This research examines the pivotal concepts of **Argumentation** and **Dialectic** by exploring their linguistic and pragmatic dimensions. The study is structured into two main chapters. **The first chapter** investigates the semantic and terminological definitions of both terms, focusing on their manifestations in the Holy Quran, which provides a unique model for dialogue and debate. This chapter also reviews the perspectives of ancient scholars and philosophers regarding the construction of rational and binding evidence.

The second chapter provides a comparative analysis of Argumentation and Dialectic, highlighting their similarities and differences in terms of objectives and mechanisms. The findings indicate that argumentation is a broader concept aimed at persuasion and gaining the audience's adherence, whereas dialectic represents the interactive framework based on the exchange between two opposing views to attain the truth. The study concludes that in classical Islamic thought, dialectic and argumentation were not merely intellectual exercises but cognitive tools used to establish rational certainty **Keywords:English:** Argumentation, Dialectic, Holy Quran, Persuasion, Debate.

الفصل الأول الاطار العام للبحث

اولاً : مقدمة

يسهم المصطلح بدور محوري في الدراسات اللغوية في جميع اللغات ، ويظهر جلياً في الدروس اللغوية حالة توحيده وفي حالة الاختلاف في تحديد مفاهيمه. (سليم و مراد, ٢٠٢٢, ص٣٠٦).ونحن في بحثنا المعنون بـ" الجدل و الحجاج : مقاربة في التشابه والاختلاف تهدف هذه الدراسة إلى المقارنة بين مفهوم "الحجاج" (argumentation) في الدراسات الحديثة ومفهوم "الجدل" عند علماء الأصول العرب. سنبحث في

المباحث التي بناها كل مصطلح لتقييم مدى خدمة علماء الأصول للدرس الحجاجي بما يضاهي أو يفوق النظريات المعاصرة. (سليم و مراد, ٢٠٢٢, ص٣٠٧). تتقاطع العمليات الحوارية في تقنياتها الإجرائية وأبعادها الحجاجية والجدلية، مما يؤدي إلى تداخلٍ مفاهيمي بين أنماطها المختلفة (كالحجاج، والجدل، والمناظرة). ومن هنا، يركز هذا البحث على سبر العلاقة بين المصطلحين الأكثر حضوراً؛ الحجاج والجدل، لاستكشاف نقاط التماس والتباين، وتحديد الخصوصية الإجرائية لكل منهما (محمد, ٢٠١٩).يستقصي هذا البحث العلاقة بين الجدل والحجاج كآليتين للتواصل الإقناعي في علوم اللغة والمنطق، مبرزًا التمايز الوظيفي بينهما؛ حيث يتخذ الجدل طابع المعارضة والمناقشة، بينما يرتكز الحجاج (Argumentation) على بناء الأدلة والبراهين الاستدلالية. ويهدف البحث من خلال مقارنة أوجه التشابه والاختلاف إلى ضبط الحدود المنهجية والاستعمالية للمصطلحين، بما يثري فهم آليات الخطاب في التراث العربي والدرس اللساني الحديث

ثانياً: مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في غموض الحدود المفهومية بين الجدل والحجاج، واختلاط استعمالهما في الدراسات التراثية والحديثة، مما يستدعي مقاربة علمية توضح نقاط التلاقي والافتراق بينهما.

ثالثاً: أسئلة البحث

١. ما مفهوم الجدل في التراث والدرس اللساني المعاصر؟

٢. ما مفهوم الحجاج في البلاغة العربية والنظريات الغربية الحديثة؟

٣. ما نقاط التشابه بين الجدل والحجاج؟

٤. ما أبرز الفروق المنهجية والوظيفية بينهما؟

٥. ما أثر هذا التمييز في الخطاب اللغوي والبلاغي؟

رابعاً: أهداف البحث

١. ضبط مفهومي الجدل والحجاج لغويًا واصطلاحيًا.

٢. بيان الأوجه المشتركة بينهما.

٣. توضيح الفروق الجوهرية في الوظيفة والخطاب.

٤. إبراز أهمية التمييز بينهما في التحليل اللغوي والبلاغي.

٥. تقديم رؤية منهجية تسهم في الدراسات التطبيقية للحجاج.

خامساً: أهمية البحث

١. أهمية علمية: يسهم في توضيح المصطلحين اللذين كثر استعمالهما في الدراسات اللسانية.

٢. أهمية تطبيقية: يمد الباحثين بأداة نقدية لتحليل الخطابات الدينية والأدبية والإعلامية.

٣. أهمية معرفية: يسهم في فهم آليات الإقناع والاعتراض في التراث العربي.

الفصل الثاني مفهوم الجدل والحجاج

المطلب الأول الجدل والحجاج في اللغة والاصطلاح

يُعدّ الحجاج (Argumentation) ممارسة تواصلية أصيلة وملازمة للنشاط الإنساني عبر مختلف الأمم والثقافات، وتستمد هذه الظاهرة ديمومتها من مرونتها وتفاوت وظائفها تَبَعاً لاحتياجات المجتمعات والأفراد. وبالتوازي مع ذلك، يحضر الجدل (Dialectique) كنزعة فطرية في السلوك البشري، مما يجعل كلا المصطلحين يشتركان في صفة الشيوع والارتباط الوثيق بآليات التفاعل الإنساني. (محمد, ٢٠١٩).

يتبين بوساطة استقراء مفهوم كل منهما ما يأتي:

اولاً: مفهوم الحجاج :

يرتد مصطلح الحجاج في اللغة إلى مادة (حجج) التي تفيد القصد؛ فالحجة هي المقصد أو الوسيلة للوصول إلى الحق المطلوب. وتدور المعاني اللغوية للمصطلح حول البرهان، والمخاصمة، والمغالبة بالدليل للظفر بالخصومة. ويشير (ابن فارس) إلى أن الحجة سُميت بذلك لكونها مَقصدًا للمُحاجّ، بينما يؤكد صاحب (لسان العرب) تداخل معانيها بين الدليل المبرهن وفعل المدافعة بين طرفين. (ابن منظور، ١٩٩٣).

وفي الاصطلاح تتعدد وتتنوع التعريفات بالنسبة للحجاج ؛ إذ تعدد مفهوم الحجاج في بيان كثير من العلماء، سواء بلفظه أو إجراءاته المتعددة، كالحجة والاحتجاج، فقد جاء عند الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) تحت مبحث (إلجام الخصم بالحجة) بقوله: «الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية، تقطع المعاند له فيه ويكمل مثبتا حضوره في القرآن الكريم، وبالتالي يثبت حضوره لدى العرب قائلا : والعجب من ابن المعتز في (بديعه) حيث أنكر وجود هذا النوع في القرآن، وهو من أساليبه. ومنه نوع منطقي وهو استنتاج النتيجة من مقدمتين... » (الزركشي، ٢٠١٥)، ويعرفها الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) بقوله : «الحجة: ما دل على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد» (الجرجاني، ٢٠٠٧) ، وهي عند الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ) أكثر بيانا فقد عرف الحجة بقوله: « ما ثبت به الدعوى من حيث إفادته للبيان يُسمى بينة، ومن حيث الغلبة به على الخصم يُسمى حجة» (الكفوي، ٢٠١٤) ، ثم يعرف الحجة الإقناعية في موطن اخر بقوله : « هي التي تفيد القانعين القاصرين عن تحصيل المطالب بالبراهين القطعية العقلية، وربما تفضي إلى اليقين بالاستكثار» (الكفوي، ٢٠١٤).

مفهوم الجدل :

يتمحور المعنى اللغوي للجدل حول 'الإحكام والشدة'؛ إذ يربط ابن فارس بين أصله اللغوي وصلابة الشيء وقوته، كاستحكام صنع الدرع أو منعة الصقر (ابن فارس ، ١٩٨١) أما ابن منظور في (لسان العرب)، فينقل المصطلح إلى الفضاء التفاعلي؛ ليدل على اللدد في الخصومة والقدرة على المغالبة، مُعرّفاً الجدل إجرائياً بأنه 'مقابلة الحجة بالحجة' وما يستلزمه ذلك من قوة في الطرح وغلبة في الدليل. (ابن منظور، ١٩٩٣).

يرتبط الجدل لغوياً بـ 'شدة الفتل'، وهو ما يعكس طبيعة العملية الجدلية التي تعتمد على إحكام الحجج منطقياً وبنائها بشكل متين لقطع قول الخصم وإفحامه. وتتطلب هذه الممارسة إعمالاً للفكر ودربة مستمرة لاختقاء الحجة الأنسب للظفر بالخصومة. ومن ثمّ، يتسم الجدل بطبيعة إلزامية وحضور مادي يستوجب المواجهة المباشرة، وهو ما يمنحه خصوصية إجرائية تميزه عن المفاهيم المجاورة كالحجاج والمناظرة.واصطلاحا يأتي الجدل في المدونات الجدلية التراثية ومعاجم اصطلاحات الفنون وكتب المنطق بوفرة، وهو بمعنى الظفر في الخصومة، ورد الخصم عن مراده، ويذكر البحث تعريفا واحد من كل ما سبق:يُعرّف الأصولي نجم الدين الطوفي (ت: ٧١٦هـ) الجدل في كتابه (علم الجذل في علم الجدل) بأنه مدافعة الخصم ورده عن رأيه، مُركّزاً على البعد الدفاعي والهدمي في هذه الممارسة.، وأوضح ذلك بقوله: «أما رسم الجدل في الاصطلاح فقيل: هو قانون صناعي يُعرف أحوال المباحث من الخطأ والصواب على وجه يدفع عن نفس الناظر والمناظر الشك والارتياب» (الطوفي، ٢٠٢٣) ، وهذا ليس تعريفا اصطنعه الطوفي كما يعتقد الكثير، بل نقله عن غيره. ثم عرف الجدل ونسب القول لنفسه قائلا : «قلت: ولك أن تقول فيه: إنه رد الخصم عن رأيه إلى غيره بالحجة، أو يقال علم أو آلة يتوصل بها إلى قتل الخصم عن رأيه إلى غيره بالدليل».

يُعرّف المناطقة الجدل إجرائياً بأنه القياس القائم على مقدمات مشهورة أو مُسلّم بها، ويُطلق وصف 'الجدلي' على من يعتمد هذا النمط الاستدلالي في محاججته. (التهانوي ، ١٩٩٦، ص ٥٥٣).

المطلب الثاني الجدل والحجاج في القرآن الكريم واصطلاح القدماء

اولاً: الجدل والحجاج في القرآن الكريم

غلب على الورود القرآني لمصطلح (الجدل) السياق السلبي، حيث ارتبط في معظم المواضع بالمنازعة غير المحمودة أو الجدال العقيم الذي لا يفضي إلى طائل. كقوله تعالى :**(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥)) (الكهف : ٥٤ – ٥٥)**.وقوله تعالى: **(وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥)) (الكهف: ٥)**ينقسم الجدل في المنظور الشرعي إلى مسلكين؛ أولهما الجدل المحمود، وهو المتمثل في الانتصار للحق مع الالتزام بضوابط الآداب الشرعية. قال تعالى : **(ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل : ١٢٥)**يوجب النص القرآني اعتماد الجدل المحمود القائم على الرفق والبيان والانصياع لسطوة الحجة القاطعة، في حين يُصنّف الجدل مذموماً إذا ما افتقر إلى أدب المناظرة، أو قام على الجهل، أو استهدف نصرة الباطل قال تعالى:**(وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ(٥)) (الكهف: ٥)**يتحول الجدل في هذا السياق إلى مسلكٍ مذموم لاستدافه إقرار الباطل؛ وهو ما يتسق مع تعريف الإمام النووي للجدل بوصفه 'مقابلة الحجة بالحجة'، موضحاً أن هذه الممارسة قد تقع بالحق أو بالباطل، إذ يظل أصلها اللغوي والوظيفي قائماً على الخصومة والمغالبة. (النووي: ١٩٦٩) . وهناك فرق دقيق بين معنيي الحجاج والجدل في استعمال القرآن الكريم أشار إليه، اذ نلاحظ الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ– ١٩٧٣م) في تفسيره لقوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ) (البقرة : ٢٥٨)** . حيث قال « ومعنى حاج خاصم ، وهو فعل جاء

على وزنة المفاعلة ، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب والبرهان المصدق للدعوي مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في المخاصمة وأن الأغلب أنه يقيم الخصام بالباطل»(ابن عاشور، ١٩٨٤) . يذهب ابن عاشور إلى أن القدرة الحجاجية هي المحدِّد لصفة 'المجادل'، معتبراً الخصومة فضاءً جامعاً بين الحجاج والجدل. وبينما يتفق مع ابن حزم في انقسام الجدل إلى محمود (بالحق) ومذموم (بالباطل)، فإنه يرى غلبة قصد المغالبة وتزييف الحقائق في ممارسات 'المحاجة' حين تخرج عن مسارها البرهاني..

ثانياً: الجدل والحجاج في اصطلاح القدماء

تسم العلاقة بين الحجاج والجدل في الاصطلاح التراثي بالترادف الدلالي، وهو ما يتجلى بوضوح في مؤلفات علوم القرآن؛ حيث استخدم الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) في 'البرهان'، والسيوطي (ت: ٩١١هـ) في 'الإتقان'، مصطلحات (الحِجاج والاحتجاج) كبدائل إجرائية لمصطلح (الجدل). وقد وسم كلاهما الفصل المخصص لهذا الفن بـ 'جدل القرآن'، مستخدمين الألفاظ الحجاجية بصفتها مترادفات تؤدي ذات الوظيفة المفهومية في سياق الاستدلال القرآني.واستمر القول بترادف المفهومين الحجاج والجدل في بعض الدراسات الحديثة كما هو في كتاب (مواقف الجدل والحجاج في القرآن الكريم) لصاحبه حمو الهادي الذي أشار إلى ترادفهما صراحة(حمو الهادي، ٢٠١٨) .ويحتفظ (طه عبد الرحمان) في تعريفه للحجاج بالجانب الجدلي فيه حيث يقول: «وجد الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية»(عبد الرحمن ، ٢٠١١) .يُعزى الترادف بين المصطلحين إلى اشتراكهما في العناصر التواصلية الأساسية (المرسل، والمستقبل، والرسالة)؛ إلا أن هذا التماهي في الدراسات التراثية والحديثة قد أدى إلى اختزال فضاء الحجاج الواسع وحصره في دائرة الجدل بوصفه صناعة منطقية ضيقة. (صولة ، ٢٠٠٧) .ينطوي التسوية بين الحجاج والجدل على خلطٍ مفاهيمي؛ إذ يذهب الباحث (عبد الله صولة) إلى أن الحجاج يمثل فضاءً أرحب، مؤسساً لعلاقة احتواءٍ تكون فيها كل ممارسة جدلية حجاجاً بالضرورة، في حين لا يستوعب الجدلُ كافة صور الحجاج وأبعاده. (صولة ، ٢٠٠٧).وبهذا يتحرر الحجاج بذلك من الانحصار في إطار الجدل الذي اختزله في دائرة (الظني والممكن)، فبينما يمثل الجدل وجهاً من وجوه الممارسة الحجاجية، يظل الحجاج المفهوم الأعم والأشمل لاستيعابه آليات استدلالية وتواصلية تتجاوز قيود الصناعة الجدلية المنطقية.

الفصل الثالث الجدل والحجاج : مقاربة في التشابه والاختلاف

يتقاطع مصطلحا الحجاج والجدل في تداخلٍ مفاهيمي أدى بكثير من اللسانيين القدامى والمحدثين إلى استخدامهما كمترادفين ؛ فصاحب كتاب "المنهاج في ترتيب الحجاج" يعبر عن هذا الاتجاه؛ إذ نلفيه يقول في مقدمته: «أزمعت على أن أجمع كتابا في الجدل يشتمل على جميع أبوابه»(الباجي ، ١٩٨٧). ويفرق الطبرسي في مقدمة كتاب الاحتجاج بين "الحجاج والجدل"؛ إذ يقول: «ثمّ إنّ الذي دعاني إلى تأليف هذا الكتاب: عدول جماعة من الأصحاب عن طريق الحجاج جدا، وعن سبيل الجدال، وإن كان حقا». (الطبرسي، ١٩٦٠) يقرر محمد الطاهر بن عاشور تمايزاً دلالياً بين المصطلحين؛ فبرغم اشتراكهما في مادة 'المخاصمة'، إلا أنه يرى قصور الحجاج على سياق المغالبة بالباطل، بينما ينقسم الجدل عنده إلى مسلكين: أحدهما باطل والآخر معضودٌ بالحق والبرهان (ابن عاشر، ١٩٨٤). ينتقد عبد الله صولة الترادف بين الجدل والحجاج، مؤكداً أن هذا التماهي يختزل الحجاج في دائرة الجدل بوصفه صناعة منطقية ضيقة. ويرى صولة أن الحجاج مفهوم أرحب يمثل جوهر الخطابة وفن الإقناع الشامل؛ إذ لا يقتصر على الاستدلال العقلي وحده، بل يتجاوزه ليشمل الحجاج اللغوي الكامن في بنية نسيج النص ذاته. (صولة، ٢٠٠٧)يمثل الحجاجُ المرتكزَ المشترك بين الجدل والخطابة؛ لكونهما أداتين لإنتاج الحجج وتوليدها، وهو ما يقتضي التمييز بين نمطين حجاجيين: (جدلي وخطابي). ويقوم الحجاج الجدلي —كما أصّله أرسطو في 'الطوبيقا'— على المناقشة النظرية المحضة الرامية للتأثير العقلي المجرد، وتتجلى تطبيقاته في التراث العربي ضمن مناظرات علم الكلام، حيث يسعى طرفان من خلاله إلى المغالبة الفكرية وإقناع الآخر بوجهة نظر محددة. (صولة ، ٢٠٠٧) أما الحجاج الخطابي —كما ورد في (خطابة) أرسطو— فيستهدف جمهوراً ضمن سياقات ومقامات محددة؛ إذ يتجاوز الأثر العقلي إلى استمالة العواطف وإثارة الانفعالات، وصولاً إلى استبمالة المتلقي ولو عبر التخييل والإيهام. وينصبُّ هذا النمط الحجاجي على توجيه السلوك الجمعي، وتشكيل القناعات أو ترسيخها، مما يجعله آليةً خطابيةً موجّهة للتأثير في الاعتقاد والفعل. (صولة ، ٢٠٠٧). تأسيساً على ما تقدم، يمكن حصر المقاربات المفاهيمية للحجاج في ثلاثة مسارات: أولها يماهي بينه وبين الجدل، وثانيها يجعله جامعاً بين الجدل والخطابة، أما الثالث فيتساوق مع الطروحات الغربية المعاصرة التي حررت الحجاج من قيد المنطق والخطابة، لتعيد صياغته كبناء لساني مستقل ومعطى لغوي صرف، مستفيداً من النظريات المعرفية الحديثة في تجاوز الأحكام التقليدية التي حصرت وظيفته في المغالطة أو الإقناع المجرد. (محسن، ٢٠١٥)

علاقة علم الجدل بالحجاج

اولاً: الفرق بين الحجاج والجدل

رغم التشابه الظاهر بينهم إلا أنه يمكن التفريق بينهما من خلال ملابسات النشأة، والغايات ونوع المتلقي، على النحو التالي:

١) ملابسات النشأة بين الحجاج والجدل.

يربط (بلانتان، ١٩٩٩) نشأة الحجاج بحدثٍ تاريخي في صقلية القديمة؛ فبعد سقوط حكم الطغاة واسترداد الشعب لحريته، نشأت حاجة ملحة لاستعادة الأراضي المصادرة، مما استوجب قيام نظام قضائي يعتمد على الخطابة لاسترداد الملكيات. وفي هذا السياق، ازدهر النشاط الحجاجي على أيدي السفسطائيين الذين وظفوا مهارات الإقناع عبر استثارة العواطف واستخدام المقدمات الظنية والمغالطات لتحصيل الحقوق أمام المحاكم.اقترنت نشأة الحجاج تاريخياً بالحركة السفسطائية وما صاحبها من سجال مع الفلاسفة، ليدخل بعدها مرحلة ركودٍ طويلة لم تنقطع إلا بصدور مؤلفات (تشايم بيرلمان) عام ١٩٥٨م. والمفارقة التاريخية تكمن في استعادة الحجاج لزخمه ضمن ذات السياق الذي نبت فيه؛ أي المضمار القضائي؛ إذ نجح بيرلمان بوصفه فيلسوفاً ورجل قانون في إحياء الإرث الخطابي اليوناني وتحويله إلى أداة إجرائية لمواجهة هيمنة النزعة الأسلوبية آنذاك، مما مهد لانطلاقة الحجاج المعاصر وشيوعه في مختلف الخطابا.تأسيساً على ما سبق، يظهر الحجاج في منشئه وبعثه الحديث ظاهرةً وثيقة الصلة بالسياقات القضائية اليونانية؛ حيث استمدَّ أصوله من الخطابة الكلاسيكية في صورتها الإجرائية. وقد تميز هذا المسار الحجاجي بتركيزه على الفعالية الإقناعية وبناء الحجة، بعيداً عن الانشغال بالزخرفة اللفظية أو المحسنات البديعية والصور الأسلوبية التي هيمنت على الخطاب الأدبي آنذاك، يقول روبول: « ما نشأت الخطابة في أثينا ، بل هي في صقلية اليونانية نشأت حوالي سنة ٤٦٥ ق.م)، بعد طرد الطغاة. ثم إن أصلها ما كان أدبيا ، بل قضائيا ، .... هي إذن قضائية ، دونما أهمية أدبية أو فلسفية، لكنها تستجيب لحاجة عظيمة . » (روبول ، ٢٠١٧)تمايز نشأة الجدل في التراث الإسلامي عن الحجاج في جذورها؛ إذ يُعدّ الجدل علماً ذا أصولٍ عربية خالصة ارتبطت بنيوياً بعلم أصول الفقه، بخلاف الحجاج الذي استمد أصوله من الفلسفة والخطابة اليونانية. وقد تبلور الجدل تاريخياً بفعل السجالات العقدية والمذهبية في نهايات العصر الأموي ومطلع العباسي، حيث أدى انفتاح الحواضر الإسلامية وتلاقي المدارس الفقهية إلى تنشيط حركة المناظرات. وتراوحت مقاصد هذا النشاط الجدلي بين الغاية البرهانية للوصول إلى الحق، والغاية الإقناعية الساعية لتثبيت المذاهب وتغليبها.

٢) الغاية

تتمحور غاية الحجاج حول استمالة الأذهان وتوجيه القناعات نحو أطروحات محددة؛ إذ يرى (بيرلمان) أن الحجاج الفعال هو الذي ينجح في تعزيز درجة الاستمالة لدى المتلقي، بما يحفزه على اتخاذ فعلٍ معين —إيجاباً أو كفاً— أو على الأقل تهيئته نفسياً واستعدادياً للقيام بذلك الفعل في وقته المناسب. (بركات، ٢٠١١). تتباين غاية الجدل عن الحجاج في نزوعها نحو الهدم والمغالبة؛ إذ يقرر (الطوفي) أن المقصد الجوهري للجدل هو إبطال دعوى الخصم وإجباره على التخلي عن رأيه بإثبات فساده، مما يمنحه طابعاً دفاعياً قائماً على المدافعة ورَدّ الحجة بمثلها. (الطوفي، ١٩٨٧)، يظهر التباين الجوهري بين الغايتين في كون الحجاج ممارسةً استكشافية تبحث عن آليات التأثير والتغيير لضمان استجابة المتلقي، بينما يتسم الجدل بطبيعةٍ إقصائية قاطعة؛ إذ تتركز غايته في دحض حجة الخصم وإسقاط دعواه، دون الالتفات إلى عنصر الاستمالة أو الإقناع الوجداني

٣) نوع المتلقي :

تولي العمليات الحوارية عناية فائقة بمرتبة المتلقي، حيث يُصنف الجمهور في الفضاء الحجاجي إلى ثلاثة أنماط: (المستمع الكوني) المتجاوز للحدود الزمنية، و(المخاطب الفردي) المعاصر للحظة الخطاب، و(الذات) في حوارها الاستبطاني. وفي المقابل، ينحصر المتلقي في العملية الجدلية في نمط (الخصم الحاضر) زمنياً ومكانياً، وهو ما تفرضه طبيعة آداب الجدل التي تستوجب المواجهة المباشرة والالتزام ببروتوكولات المناظرة بين الطرفين. (الطوفي، ١٩٨٧) .

ثانياً: أوجه الاتفاق بين الحجاج والجدل

تتلاقى ممارسات الحجاج والجدل في جملةٍ من المرتكزات البنيوية والمباحث المشتركة؛ ولتحديد طبيعة هذه العلاقة، يستعرض هذا الفصل نقاط التماس بينهما من خلال محورين أساسيين: (المباحث المشتركة)، وعلاقة (العموم والخصوص)، وصولاً إلى صياغة تصور دقيق للعلاقة الرابطة بين العلمين.

١) المباحث المشتركة:

يرتكز الجدل بنيوياً على آلية (السؤال والجواب) بوصفهما ركنيه الأساسيين، معتمداً على إجراءات منطقية وقياسية لدحض أطروحة الخصم؛ وهو ما يستلزم تفعيل الصناعة الحجاجية عبر التنظيم المنهجي واستهداف المتلقي. كما تساهم الحجج العقلانية في صون العملية الجدلية من الانزلاق نحو (الجدل المذموم) القائم على التمويه. وبالاستناد إلى معطيات الدرس الحجاجي المعاصر واستقراء المدونة التراثية الإسلامية، تبرز نقاط تقاطعٍ ومقاربات تحليلية تسعى لمدّ جسور التواصل بين المفهومين، ومن أبرزها:

- **المواضع والسؤال والجواب :**

يُمثّل (السؤال والجواب) الركنين الأساسيين لعملية الجدل، إذ يرتكز عليهما مسار المخاصمة وتتفرع عنهما أغلب مباحثه الإجرائية. وفي المقابل، يتقاطع الجدل في الدرس الحجاجي الحديث مع مفهوم (المواضع – Topoi)؛ حيث تشترك العملية الجدلية مع المواضع في كونهما 'المستودع الاستدلالي' المسؤول عن توليد الحجج وإنتاجها بصفة مستمرة، مما يجعلهما بمثابة القالب المنطقي الذي تُصاغ فيه البراهين لإقناع الخصم أو الجمهور. (ليبرمان ، تيتكا، ٢٠٢٣) ، تتمثل العلاقة الوظيفية بين (المواضع) في الحجاج و(السؤال والجواب) في الجدل في قدرتهما التوليدية؛ فبينما تعمل المواضع على إنتاج الحجج وتوليدها، يقوم السؤال والجواب باستثارة الإجراءات الجدلية من استدلالٍ وقياسٍ واعتراض. ويكمن وجه الشبه الجوهري بينهما في 'الديناميكية الإجرائية' التي يبعثانها في الخطاب، مما يحول العملية التواصلية إلى مسارٍ تفاعلي متجدد.

- **القيم والمبادئ الحجاجية والقواعد الجدلية**

تُشكّل القيمُ الركيزةَ الجوهرية لأي ممارسة حجاجية؛ إذ يرى (بيرلمان) أن حضور القيم في الخطاب يضاهي حضور الوقائع، مما يستوجب تفعيل الآليات الحجاجية عند طرحها لتجاوز التسليم المطلق وضمان استمرارية التفاعل الحواري. وبصورةٍ عامة، فإنّ قبول أي حجة يقتضي ضمنياً الإقرار بقيمٍ عليا مشتركة تؤسس للمصادقة على الدعاوى المطروحة. (ليبرمان، تيتكا، ٢٠٢٣)، تُعدُّ المبادئ المرجعيةَ التأسيسية لكل فعل حجاجي، وتُعرّف إجرائياً بأنها منظومةُ المُسلّمات والمعتقدات المشتركة التي تُقرُّ بصدقها جماعةٌ لغوية وبشرية محددة؛ مما يمنح الخطاب أرضيةً توافقية تضمن مقبولية الحجج وانسيابية الاستدلال. (العزاوي، ٢٠٠٦) بناءً على المعطيات السابقة، يمكن اعتبار القيم والمبادئ مُسلمات حجاجية تضمن "إتقان" العملية الجدلية وترسخ قواعدها؛ وهو ما تجسد في مصنفات الجدليين القدامى تحت مسمى (آداب الجدل)

- **اتفاق المبدأ :**

يتمثل (المبدأ المشترك) بين الحجاج والجدل في غاية 'التغيير' المستهدفة من العملية الحوارية؛ فبينما يرمي الحجاج إلى تعديل قناعات المتلقي بتعزيز التأييد لأطروحة ما أو تقويضه، يهدف الجدل إلى إحداث تغيير جذري يدفع الخصم للتراجع عن ادعائه ببيان بطلانه. وبهذا يتحد العلمَان في 'مبدأ التحويل'، وإن تمايزت الوسائل الإجرائية المتبعة لتحقيق هذا الأثر

٢. الأعم والأخص :

يسعى عبد الله صولة (صولة، ٢٠٠١) إلى تأصيل علاقة (العموم والخصوص) بين المفهومين، مؤكداً أن الحجاج يمثل الفضاء الأرحب الذي يستوعب الجدل؛ فبينما يُعدُّ كلُّ جدلٍ حجاجاً بالضرورة، لا ينسحب وصف الجدل على كافة الممارسات الحجاجية. ويقتضي تحليل هذه الأطروحة تفكيك شقّيها ومناقشة أبعادها المنهجية، لبيان الحدود الفاصلة بين شمولية الحجاج وخصوصية الصناعة الجدلية.

يُفسَّر الشق الأول من أطروحة صولة (كل جدل حجاج) بأن الجدل في سياقه التراثي يعتمد بنيوياً على 'الصناعة الحجاجية'؛ فإلزام الخصم ودحض دعواه يستلزم تنظيماً وترتيباً محكماً للحجج، مما يجعل الجدل نمطاً تطبيقياً منماط الحجاج. أما الشق الثاني (ليس كل حجاج جدل)، فيرتكز على التمايز في النتائج؛ فبينما يرمي الجدل إلى مخرجات ثبوتية وقطعية، يظل الحجاج محصوراً في دائرة 'الاحتمال'، حيث يعنى بمحاولة الاستمالة وقياس نجاعة الحجج دون ضمان الإقناع التام، وهو ما يمنح الحجاج مرونةً وفضاءً أوسع يتجاوز الصرامة الجدلية.

الفصل الرابع النتائج والتوصيات

أولاً: نتائج البحث

١. اتضح أنّ الجدل والحجاج يشتركان في الوظيفة الإقناعية؛ فكلاهما يسعى إلى التأثير في المتلقي، غير أنّ مسار الإقناع يختلف من حيث الأدوات وسياق الخطاب.

٢. الجدل يقوم على صيغة من المعارضة والمناظرة، وقد يتجه في كثير من الأحيان إلى نقد رأي الخصم وإبطال حججه، بخلاف الحجاج الذي يركز على بناء خطاب إيجابي يقدّم الأدلة لإثبات الفكرة.

٣. أظهرت الدراسة أنّ الجدل أقرب إلى النزعة المنطقية الصارمة من خلال الاعتماد على البرهان والتفنيد، بينما يميل الحجاج إلى الأسلوب البلاغي والتداولي الذي يراعي نفسية المتلقي وعلاماته التداولية.

٤. تبين أنّ التراث العربي الإسلامي أسهم بوضوح في تأصيل مفهوم الجدل في كتب المناظرة والكلام والفقه، في حين أنّ الحجاج تأصل بصورة أوسع في الدراسات اللسانية الحديثة.

٥. أوضحت الدراسة أنّ الفروق بين المصطلحين ليست قاطعة؛ إذ تلتقي بعض أشكال الجدل مع الحجاج في البنية الاستدلالية، وتظهر الحجاجيات أحيانًا داخل النصوص الجدلية.

٦. إنّ التمييز بين الجدل والحجاج ضروري في تحليل الخطاب؛ لأنه يتيح للباحث فهم الأساليب المعتمدة في الإقناع أو التفنيد، وتحديد طبيعة النص واتجاهه.

٧. أثبتت الدراسة أنّ الوظيفة التداولية للحجاج أوسع من الجدل؛ لأنه لا يقتصر على المناظرة، بل يشمل الخطابات الأدبية والإعلامية والسياسية والدينية.

٨. خلص البحث إلى أنّ الجدل يرتبط غالبًا بسياق الصراع الفكري، بينما يرتبط الحجاج بسياق بناء الرأي العام وتوجيه الفكر، رغم وجود مناطق تداخل بينهما.

ثانيًا: توصيات البحث

١. ضرورة ضبط المصطلحين بدقة في الكتب والمناهج اللسانية والبلاغية، لتجنب الخلط المتكرر بين الجدل والحجاج.

٢. أهمية إدماج الدراسات الحجاجية الحديثة في مناهج الجامعات العربية؛ لأنها تسهم في تطوير مهارات التحليل والخطاب الإقناعي لدى الطلبة.

٣. تشجيع الدراسات التطبيقية التي تُظهر كيفية عمل الجدل والحجاج في النصوص الأدبية والدينية والإعلامية، بدل الاقتصار على الجانب النظري.

٤. الدعوة إلى تطوير معايير تحليلية موحدة تجمع بين المنظور التراثي والمعاصر لفهم آليات الإقناع والتأثير.

٥. التأكيد على توظيف الحجاج في الخطابة المعاصرة بما يخدم الحوار المجتمعي ويعزز التفكير النقدي بعيدًا عن التعصب والجدل العقيم.

٦. التوصية بإنشاء دراسات مقارنة موسعة بين الجدل في التراث الإسلامي والحجاج في الفكر الغربي، لفتح آفاق بحثية جديدة.

٧. تشجيع الباحثين على دراسة البعد الأخلاقي في الجدل والحجاج، خاصة ما يتصل بأمانة الاستدلال، واحترام المتلقي، ونزاهة الحوار.

المراجع

- **القران الكريم**

١. ابن عاشور، م. ط. (د.ت) (١٩٨٤) . تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر.

٢. ابن فارس، أ. (١٩٨١). معجم مقاييس اللغة (ع. س. هارون، تحقيق؛ ط٣). مكتبة الخانجي.

٣. ابن منظور، م. ب. م. (١٩٩٤). لسان العرب (ط٣). دار صادر.

٤. أبو البقاء الكفوي. (٢٠١٤). الكليات (م. تامر وأ. الشامي، تحقيق). دار الحديث.

٥. محمد، م. م. (٢٠٢٥). العلاقة بين الدرس الحجاجي وعلم الجدل. مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ١٢(١٣١).

٦. الباجي، أ. ا. و. س. (١٩٨٧). المنهاج في ترتيب الحجاج (ط٢). دار الغرب الإسلامي.

٧. التهانوي، م. ع. (١٩٩٦). موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم (ع. دحروج، تحقيق؛ ط١). مكتبة لبنان ناشرون.

٨. الجرجاني، ع. ب. م. (٢٠٠٧). التعريفات (ن. ا. تونسي، تحقيق؛ ط١). شركة القدس للنشر والتوزيع.

٩. الزركشي، ب. ا. (٢٠١٥). البرهان في علوم القرآن (أ. ب. علي، تحقيق؛ ط١، ج٣). دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠. السيوطي، ع. ا. (١٩٧٣). الإتقان في علوم القرآن. عالم الكتاب.

١١. الطبرسي، أ. م. أ. ب. ع. (١٩٦٠). الاحتجاج (ط١). منشورات الشريف الرضي.

١٢. الطوفي، ن. ا. (٢٠٢٣). علم الجذل في علم الجدل (إ. ع. القيسي، تحقيق؛ ط١). مكتبة أهل الأثر؛ شركة وعي الدولية.

١٣. النووي، م. ا. ش. (د.ت) (١٩٦٩). تهذيب الأسماء واللغات. دار الكتب العلمية.

١٤. بركات ، ب. م. (٢٠١١). منهج الجدل والمناظرة في الفكر الإسلامي. كنوز المعرفة.

١٥. بلانتان، ك. (د.ت)(١٩٩٩). الحجاج. مكتبة عين الجامعة.

١٦.حمو، ا. هـ. (١٩٨١). مواقف الجدل والحجاج في القرآن الكريم [أطروحة دكتوراه منشورة]. جامعة الزيتونة، المعهد العالي لأصول الدين.

١٧.روبول، أ. (٢٠١٧). مدخل إلى الخطابة (ر. العصبة، ترجمة). أفريقيا الشرق.

١٨.سليم، مراد. ا. ا.، والعرابي، م. (٢٠٢٢). بين الجدل والحجاج – دراسة وصفية مقارنة للمصطلح بين الفكر العربي والنظرية الحجاجية الحديثة. مجلة الصوتيات. جامعة البليدة.

١٩.صولة، ع. (٢٠٠٧). الحجاج في القرآن الكريم (ط٢). دار الفارابي.

٢٠.عبد الرحمن، ط. (د.ت) (٢٠١١). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. مجلة الكتب العربية.

٢١.ليبرمان، ش.، واولبيرخت تيتكا (٢٠٢٣)، ل. (د.ت). المصنف في الحجاج. المكتبة التراثية.

٢٢.محسن بن عامر. (٢٠١٥). البعد الحجاجي في مرزبان نامه لابن عربشاه، الباب الثالث أنموذجا. مجلة كلية الآداب واللغات، (١٠-١١).

References

1. Ibn Ashur, M. T. (1984). Tafsir al-Tahrir wa-al-Tanwir. Al-Dar al-Tunisiyyah lil-Nashr.
2. Ibn Faris, A. (1981). Mu'jam Maqayis al-Lughah (A. S. Harun, Ed.; 3rd ed.). Maktabat al-Khanji.
3. Ibn Manzur, M. B. M. (1994). Lisan al-Arab (3rd ed.). Dar Sadr.
4. Abu al-Baqa al-Kafawi, A. B. M. (2014). Al-Kulliyat: Mu'jam fi al-Mustalahat wa-al-Furuq al-Lughawiyyah (M. Tamer & A. al-Shami, Eds.). Dar al-Hadith.
5. Mohamed, M. M. (2025). The relationship between argumentative studies and the science of dialectics. Al-Andalus Journal for Humanities and Social Sciences, 12(1).
6. Al-Baji, A. W. S. (1987). Al-Minhaj fi Tartib al-Hujaj (A. B. Shanab, Ed.; 2nd ed.). Dar al-Gharb al-Islami.
7. Al-Tahanawi, M. A. (1996). Mawsūʻat kashshāf iṣṭilāḥāt al-funūn wa-al-ʻulūm (A. Dahrouj, Ed.; 1st ed.). Librairie du Liban Publishers.
8. Al-Jurjani, A. B. M. (2007). Al-Ta'rifat (N. A. Tunisi, Ed.; 1st ed.). Quds Publishing Company.
9. Al-Zarkashi, B. A. (2015). Al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an (A. B. Ali, Ed.; 1st ed., Vol. 3). Dar al-Ghad al-Jadid.
10. Al-Suyuti, J. A. (1973). Al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an. 'Alam al-Kutub.
11. Al-Tabarsi, A. M. A. (1960). Al-Ihtijaj (1st ed.). Manshurat al-Sharif al-Radi.
12. Al-Tufi, N. A. (2023). ʻAlam al-Jadhal fi ʻIlm al-Jadal (I. A. al-Qaysi, Ed.; 1st ed.). Maktabat Ahl al-Athar; Wa'y Company.
13. Al-Nawawi, M. A. S. (1969). Tahdhib al-Asma' wa-al-Lughat. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
14. Barakat, B. M. (2011). Manhaj al-Jadal wa-al-Munatharah fi al-Fikr al-Islami. Kunuz al-Ma'rifah.
15. Plantin, C. (1999). Al-Hujaj (1st ed.). Ain Al-Jami'a Library.
16. Hammo, A. H. (1981). Mawaqif al-Jadal wa-al-Hujaj fi al-Qur'an al-Karim [Doctoral dissertation, Ez-Zitouna University]. Higher Institute of Theology.
17. Reboul, O. (2017). Madkhal ila al-khitabah [Introduction to rhetoric] (R. Al-Asba, Trans.). Afrique Orient.
18. Selim, M. A. A., & Al-Arabi, M. (2022). Between dialectic and argumentation: A descriptive comparative study of the term between Arabic thought and modern argumentation theory. Journal of Phonetics, University of Blida.
19. Soula, A. (2007). Al-Hujaj fi al-Qur'an al-Karim (2nd ed.). Dar Al-Farabi.
20. Abdurrahman, T. (2011). Fi usul al-hiwar wa-tajdid 'ilm al-kalam [On the principles of dialogue and the renewal of scholastic theology]. Al-Markaz al-Thaqafi al-Arabi.
21. Perelman, C., & Olbrechts-Tyteca, L. (2023). Al-Musannaf fi al-hujaj: Al-khitabah al-jadidah (M. Al-Amri, Trans.). Al-Maktabah al-Turathiyyah.
22. Bin Amir, M. (2015). The argumentative dimension in Marzuban Nama by Ibn Arabshah, Chapter Three as a model. Journal of the Faculty of Arts and Languages, (10-11).